أضواء جديدة على سور القاهرة الشرقي من خلال الاكتشافات الحديثة (1998-2002م)

د. أسامة طلعت عبد النعيم•

من المعروف أن أسوار وأبواب حصن القاهرة شيدت للمرة الأولى على يد جوهر الصقلي سنة 358هـ (969م)، وأنها جددت وأضيف إليها بعد ذلك مرتين؛ الأولى على يد بدر الجمالي فيما بين سنتي 480 و 485هـ (1087 و 1092م)، والثانية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 566هـ (1170م). وبعد أن أسقط صلاح الدين الدولة الفاطمية وأقام الدولة الأيوبية تحول مشروع تحصين القاهرة الفاطمية إلى مشروع أكبر وهو تحصين العاصمة المصرية في ذلك الحين؛ فأمر ببناء السور ليحيط بالقاهرة والفسطاط بالإضافة إلى بناء قلعة الجبل، وهو السور الذي صدر الأمر ببنائه سنة 572هـ (1176م)، وظل العمل فيه جارياً حتى وفاة صلاح الدين سنة 589هـ (1193م)، ويعرف بسور العواصم.

وكنت قد تناولت في دراسة سابقة أعمال صلاح الدين الدفاعية، سواء في سور القاهرة الفاطمية أو سور العواصم[1]، لذلك أود أن أوضح بداية أن الغرض من هذا البحث ليس تكرار ما سبق لي دراسته، أو إجراء بحث مكتبي يعتمد على المصادر والمراجع فقط؛ بل إلقاء الضوء بشكل مبدئي على جزء من الضلع الشرقي للسور لم يكن ظاهراً من قبل، وبدأ الكشف عنه سنة 1998م كما سيأتي ذكره؛ مع الاعتماد بشكل أساسي على الدراسة الميدانية لهذا الجزء، والتركيز على أهم ما فيه وهو باب لم يكن تخطيطه أو موقعه معروفاً للآثاريين من قبل. وأُجريت بهذا الباب حفائر أثرية قامت بها بعثة من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار فيما بين سنتي 2000 و 2002م، ورأس هذه البعثة الزميل الدكتور (استيفان برادين Stéphane Pradines) وهو عضو علمي باحث في الآثار الإسلامية بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وكان لي شرف الاشتراك مع هذه البعثة خاصة فيما يتعلق بالتوثيق العلمي والأثري للباب والسور.

ويُعد السور الشرقي بشكل عام من أطول أجزاء الأسوار الباقية، ويرجع إلى فترتين تاريخيتين متصلتين، فالقسم الشمالي منه والممتد فيما بين برج الظفر وبرج درب المحروق - وجزء منه موضوع هذه الدراسة- يرجع إلى فترة تحصين القاهرة الفاطمية على يد صلاح الدين (566-572هـ/1170-1176م)، أما القسم الجنوبي الممتد فيما بين برج درب المحروق ومنطقة باب الوزير فيرجع إلى فترة تحصين العاصمة المصرية (572-589هـ/1176-1193م).

وقد أُجريت في القسم الشمالي من السور الشرقي من قبل العديد من أعمال الحفر الأثري، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1- أعمال الأستاذ/ علي بهجت سنة 1920م: وقام خلالها بالكشف عن قمة مبنى حجري مستطيل أعتقد وقتها أنه أحد برجي باب البرقية ولكن المنية وافته قبل إتمام العمل[2]، وسُجلت هذه الكتلة منذ ذلك الحين خطأً باسم "باب البرقية - أثر رقم 614"[3] (شكل 1، لوحة 1).

• كلية الآثار جامعة القاهرة

[1] عبد النعيم، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1992م.

[2] Bulletins du Comité de Conservation des Monuments de L´ Art Arabe, Exercices 1920-1924, 598 e Rapport, p. 341.

[3] مصلحة المساحة المصرية، فهرس الآثار الإسلامية الباقية بمدينة القاهرة، 1951م، لوحة (1)، المجلس الأعلى للآثار، دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، الإصدار الأول، القاهرة، 2000م، ص 45.

2- أعمال لجنة حفظ الآثار العربية سنة 1942م: استأنفت لجنة حفظ الآثار العربية العمل في المبنى الحجري المستطيل السابق بناءً على اقتراح الأستاذ (كريزويل Creswell)[4]. الذي قام بفحصه وذكر أنه أحد أبراج السور ولكنه لم يكن جزءاً من باب؛ وبالتالي فليس هو باب البرقية[5]. وقد تراكمت المخلفات فوق المبنى بعد ذلك حتى لم يعد ظاهراً منه سوى قمته بارتفاع 80سم فقط.

3- أعمال مصلحة الآثار فيما بين سنتي 1955 و1957: تمت هذه الأعمال أثناء قيام بلدية القاهرة بتسوية تلال الدَّراسة (كيمان البرقية سابقاً) تحت إشراف مصلحة الآثار، وكشفت في شهر مايو سنة 1957م عن بقايا باب فاطمي شيد بالحجر ولا يزال محتفظاً بنص تأسيسه وتاريخ بنائه (المحرم سنة 480هـ/ مارس-أبريل 1087م)، ومسجل عليه اسمه وهو "باب التوفيق"[6] (شكل 1)، ويتقدم الباب من الجهة الشرقية جزء من السور يمتد إلى الشمال الشرقي، ويتخلل بناءه ثلاثة أبراج نصف دائرية هي الأبراج التي تحمل أرقام (45، 46، 47). وتجدر الإشارة هنا إلى أن لجنة حفظ الآثار العربية قد قامت بترقيم الأبراج سنة 1902م للتمييز بينها، وانتهى هذا الترقيم بالبرج (44) وهو أخر الأبراج التي كانت ظاهرة في ذلك الحين، وقمت باستكمال هذا الترقيم وفق ما ظهر من السور بعد ذلك، واعتمد الزميل الدكتور (استيفان برادين) على هذا الترقيم واستخدمه في بحثه عن الحفائر التي أجراها في كل من باب البرقية وباب المحروق وأشار إلى ذلك[7]. وقد زحفت المخلفات بمرور الوقت على هذا الجزء من السور والأبراج فطمست معالمه إلى أن قامت منطقة تفتيش آثار شمال القاهرة بإزالة تلك التعديات لإعادة كشف السور مرة أخرى، وكان ذلك فيما بين سنتي 1989 و 1990م[8].

الكشف عن سور صلاح الدين جنوب شارع جوهر القائد
(شرق مستشفى الحسين الجامعي)

لعله من المفيد قبل الحديث عن كشف هذا الجزء من السور التعرف على الأجزاء التي كانت ظاهرة منه حتى سنة 1998م متجهين من الجنوب إلى الشمال، ويمكن حصر تلك الأجزاء في النقاط التالية:

1- برج درب المحروق، وهو البرج المسجل تحت رقم (17) في ترقيم لجنة حفظ الآثار العربية، وجزء قصير من السور يبلغ طوله 3.30م، ويمتد من البرج المذكور إلى الشمال الشرقي.

2- المبنى الحجري المستطيل الذي كان يعتقد -خطأً- أنه باب البرقية.

3- باب التوفيق والأبراج (45، 46، 47).

4- برج الظفر (رقم 38) والأبراج الستة المتتالية في السور الممتد إلى الجنوب منه (الأبراج 44:39) بما فيها برجي الباب الجديد (شكل 1).

[4] Bulletins., 1941-1945, p. 131.

[5] Creswell, K.A.C., The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, 1952, 1959, I, p. 28.

[6] شافعي، فريد، قاهرة المعز كانت حصناً لا مدينة، مجلة منبر الإسلام، السنة الثانية والعشرين، العدد التاسع، 1965م، ص 119-121.

[7] Pradines, Stéphane; Michaudel, Benjamin; Monchamp, Julie, La muraille ayyoubide du Caire: les foulles archéologique de Bab al-Barqiyya et Bab al-Mahruq, Annales Islamologiques (I.F.A.O), 2002, 36, p. 289.

[8] ملفات محفوظة بمنطقة تفتيش آثار شمال القاهرة باسم (برج الظفر)، تحت رقم (8-150-307)، د.ت.

وكانت هذه الأجزاء الأربعة منفصلة عن بعضها البعض، ولا تظهر للوهلة الأولى الصلة فيما بينها، ولكن هذا لم يكن يعني أن السور بينها قد اندثر. وكنت قد أشرت في دراسة سابقة إلى أن الزيارة الميدانية للسور الشرقي عموماً توضح أن هذه الأجزاء ليست مندثرة تماماً، ولكنها غير ظاهرة لأنها إمام مطمورة اسفل التلال الحالية بمنطقة الدرَّاسة، أو أسفل الشوارع الحالية التي تقطع مسار السور مثل شارع جوهر القائد وشارع الشيخ صالح الجعفري، واقترحت لإعادة كشفها عمل خط افتراضي يمتد بين نقطتين باقيتين من السور والحفر بينهما لإظهاره، أو تتبع مداميك أحجار الأجزاء الباقية والحفر أمامها[9].

وحدث ذلك بالفعل في ديسمبر سنة 1998م؛ فبينما كان العمل جارياً في ذلك الوقت لحفر المدخل الشرقي لنفق الأزهر للسيارات الممتد ما بين شارع صلاح سالم وميدان الأوبرا ويتقاطع مع محور السور؛ فإذا بأعمال الحفر تُظهر جزء من السور عند المدخل الشمالي لشارع جوهر القائد ويشتمل على برج نصف دائري[10] (شكل 1، iv). وكانت مؤسسة أغا خان للخدمات الثقافية تقوم في ذلك الوقت بتسوية وإعداد تلال الدَّراسة (كيمان البرقية) جنوب الموقع مباشرة لتحويلها إلى حديقة عامة؛ فتم الاتفاق بين المؤسسة والمجلس الأعلى للآثار على استكمال إزالة التلال عن واجهتي السور وتتبع مساره صوب الجنوب في اتجاه برج درب المحروق؛ وذلك تحت إشراف منطقة تفتيش آثار شمال القاهرة. ونظراً للكم الهائل من الأتربة والمخلفات التي كانت تطغى تماماً على معالم السور؛ فقد تم استخدام الآلات الميكانيكية لإزالتها. واستمرت هذه الأعمال حتى سبتمبر سنة 2000م، وأسفرت عن ظهور ما يقرب من 400م من السور تتخلله مجموعة من الأبراج وأحد أبواب القاهرة، وسوف يلي تناوله بالتفصيل. وسبقت الإشارة إلى أنه قد أُجريت بهذا الباب حفائر أثرية قامت بها بعثة من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار فيما بين سنتي 2000 و 2002م.

الدراسة الآثارية للسور والباب المكتشف

يبلغ إجمالي طول هذا الجزء من السور حوالي 400م بما في ذلك عرض الأبراج، ويتراوح ارتفاعه عن منسوب الأرض الحالي أمامه ما بين 5 و 8.5م. ويمتد على هيئة خط ينحرف تدريجياً ما بين برج درب المحروق في الجنوب الغربي وشارع جوهر القائد في الشمال الشرقي (لوحة 1)[11]، وتظهر واجهة السور الخارجية واضحة الآن؛ أما واجهته الداخلية فيظهر القسم الشمالي الشرقي منها فقط فيما بين المبنى الحجري المستطيل (شكل 1، رقم 614) وحتى حجرة الرماية (ا)، في حين يختفي القسم الجنوبي الغربي منها والممتد ما بين المبنى المذكور وبرج درب المحروق نتيجة لارتفاع منسوب الأرض أمام تلك الواجهة واستخدامه كطريق يرتفع عن منسوب قمة السور الحالية. ويشتمل بناء السور على أربعة أبراج نصف دائرية، بالإضافة إلى برج خامس هو برج الباب (شكل 2، الأبراج 53:49). وشيدت هذه الأبراج على مسافات متقاربة تتراوح ما بين 56م و 74م. وتبدو بقايا السور والأبراج على حالتها القديمة، فلا تظهر به آثار أي أعمال ترميم معماري سواء من قبل لجنة حفظ الآثار العربية أو بعدها، لذلك تتضح في بقاياه -لاسيما واجهته الخارجية- مظاهر التلف الناتجة عن العوامل الطبيعية، ومنها ارتفاع نسبة الرطوبة في المداميك السفلية، فضلاً عن تآكل بعض

[9] عبد النعيم، أسوار، ص 284.

[10] Warner, Nicholas,The Fatimid and Ayyubid Eastern Walls of Cairo: missing fragments, Annales Islamologiques (I.F.A.O), 1999, 33, p. 291.

[11] لوحات البحث جميعها من تصوير الباحث.

أحجار تلك الواجهة (لوحة 2). ولا تزال واجهة السور الخارجية محتفظة ببعض الدراوي التي كانت تتوجها، وهي ذات نهايات نصف دائرية على غرار دراوي سور بدر الجمالي الشمالي والأجزاء الأخرى من سور صلاح الدين. وكان يتوصل إلى الممشى العلوي للسور بواسطة درج سلم حجري يبرز عن واجهة السور الداخلية، ولا تزال بقايا هذا السلم قائمة أيضاً (لوحة 3)، وهو نفس الأسلوب الذي كان متبعاً في بعض أجزاء سور صلاح الدين الأخرى جنوب وغرب برج الظفر.

ولا يتخلل السور ممر داخلي للربط بين الأبراج كما كان متبعاً في سور القاهرة الشمالي بين باب النصر وباب الفتوح وفي سور قلعة الجبل، وقام المعمار عوضاً عن ذلك بعمل مجموعة من حجرات الرماية المستقلة موزعة على مسافات مختلفة بين الأبراج على النحو التالي: حجرة شمال البرج (49)، أربع حجرات فيما بين البرج (49) و(50)، أربع حجرات أيضاً ما بين البرج (50) و(51)، حجرة واحدة ما بين البرج (51) و(52)، حجرتان ما بين البرج (52) و(53)، حجرة واحدة ما بين البرج (53) وبرج درب المحروق (شكل 2، ا:م). وكل من هذه الحجرات عبارة عن مساحة مستطيلة تتوسط ضلعها الخارجي فتحة مزغل؛ أما ضلعها الداخلي فيفتح بكامل اتساعه على داخل المدينة، ويغطي كل منها قبو طولي مدبب، وكان يتوصل إلى كل منها عن طريق درج سلم حجري يبرز عن واجهة السور الداخلية، ولا تزال بقايا هذا السلم قائمة (لوحة 3)، وكانت هذه الحجرات تستخدم فيما يرجح كمخازن للأسلحة في حالة السلم، أما في حالة الحرب فكانت تُفرَّغ وتستخدم كحجرة لرمي السهام وغيرها من خلال المزاغل المزودة بها.

وسبق القول أن هذا الجزء من السور لا يزال محتفظاً بأربعة أبراج نصف دائرية بالإضافة إلى برج الباب، والبرج الوحيد الذي يمكن دخوله والتعرف على تخطيطه الداخلي منهم هو البرج رقم (49) (شكل 2، 3). ويبلغ قطر استدارته 7.30م، وتبرز واجهته الخارجية بمقدار 5.25م عن واجهة السور، ويفتح بتلك الواجهة ثلاثة مزاغل؛ أحدهم أمامي (لوحة 4) والآخران جانبيان، كما تبرز واجهة البرج الداخلية 0.80م عن واجهة السور، ويظهر في هذه الواجهة ارتفاع كتلة البرج عن الممشى العلوي للسور، لذلك كان يصعد من الممشى إلى سطح البرج بواسطة درج سلم مكشوف لا يزال باقياً، ويفتح في هذه الواجهة بابان (لوحة 5)؛ كل منهما عبارة عن فتحة مستطيلة اتساعها 0.80م، ويتوجها عتب حجري مستقيم ثم عقد عاتق، ويؤدي الباب الشمالي منهما إلى حجرة الرماية الرئيسية، وتتكون من مساحة مستطيلة يغطيها قبو طولي مدبب؛ وتفتح بها ثلاث دخلات عميقة يتصدر كل منها مزغل؛ اثنان جانبيان والثالث أمامي، ويتفرع من القسم الغربي لحجرة الرماية ممران، يمتد أحدهما صوب الجنوب ويمتد الآخر صوب الشمال، وينتهي الممر الجنوبي بعد هبوط ثلاث درجات سلم إلى حجرة رماية يتصدر ضلعها الخارجي مزغل، ويفتح بضلعها الغربي الباب الجنوبي الذي يظهر بواجهة البرج الداخلية (لوحة 5)، وينتهي الممر الشمالي كذلك إلى حجرة رماية أخرى ولكن أصغر حجماً داخل كتلة السور المتصل بالبرج، وتشتمل على مزغل أمامي. وتدل عمارة البرج الباقية على أنه كان يتكون من طابق واحد ذو سقف مرتفع ويعلوه سطح مكشوف يحدد هيئته درابزين يحمل دراوي، وهو نفس التخطيط الذي اتبع في أبراج سور صلاح الدين الممتد من برج درب المحروق إلى منطقة باب الوزير، ومن الواضح أن الغرض من حجرتي الرماية على جانبي البرج هو زيادة القدرة الدفاعية له بزيادة عدد المزاغل الأمامية.

أما الأبراج الثلاث الأخرى (شكل 2، الأبراج 50، 51، 53) ففي حالة سيئة ولا سبيل لدخولها الآن، فقد أدى ارتفاع منسوب الطريق الحالي أمام واجهة البرج رقم (53) الداخلية إلى حجب تلك الواجهة تماماً، فضلاً عن تهدم قمة البرج وقسماً كبيراً من واجهته الخارجية، ويظهر بها الآن الحشو الداخلي للجدران وجزء من قبو المزغل الأمامي (لوحة 6)، كما اندثر الشطر العلوي من البرج رقم (50)، وصار سطح الشطر المتبقي منه على منسوب النهايات العلوية

للمزاغل (لوحة 7)، ويدل استواء سطح هذا الشطر مع السور على جانبيه -فيما أرجح- على أن قمة البرج المندثرة قد أزيلت لغرض ما، ولم تندثر نتيجة لعوامل طبيعية. أما البرج رقم (51) فلا تختلف حالته كثيراً عن البرجين السابقين.

ومن أبرز ما كُشِف عنه في هذا الجزء من السور باب ذو مدخل منكسر (شكل 2، 4، لوحة 8)، ويرتبط تخطيط هذا الباب ارتباطاً وثيقاً بالسور على جانبيه؛ حيث تبرز واجهة السور الخارجية شمال الباب حوالي 8م عن مثيلتها جنوب الباب، واستغل المعمار بروز السور شمال الباب ببناء برج نصف دائري (البرج رقم 52)، كما أقام جداراً سميكاً على شكل حرف (L) معكوس ينبثق من السور المرتد للداخل جنوب الباب، ويحصر البرج والجدار فيما بينهما ممر المدخل المنكسر، والذي ينحرف الداخل إليه في زاوية قائمة جهة اليمين ليعبر الجزء المغطى من الممر خلف كتلة البرج وينتهي إلى داخل المدينة (شكل 4). وكانت الأتربة المتراكمة تغطي ممر المدخل تماماً عندما بدأت بعثة المعهد الفرنسي حفائرها في موقع الباب، فتمت إزالتها تدريجياً حتى وصل الحفر إلى المنسوب الأصلي لأرضية الممر، وأسفرت هذه الأعمال عن كشف الضلع الخارجي المكشوف المتعامد على السور من ممر المدخل (شكل 4، لوحة 8)، فضلاً عن الطرف الجنوبي الغربي للضلع الداخلي منه والموازي للسور خلف كتلة البرج، وتوقف العمل في هذا الضلع الأخير من الممر بعد كشف عقد فتحة الباب الخارجي (لوحة 9) وجزء من عقد فتحة الباب الداخلي بالطرف الشمالي الشرقي من الممر (لوحة 10) والذي كان يؤدي إلى داخل المدينة، ولم يستمر العمل في إزالة الأتربة والمخلفات من داخل هذا الضلع من الممر وكذلك من داخل برج الباب نظراً لحالتهما المتداعية، وضرورة أن تتوازى أعمال الإزالة مع أعمال سند وتدعيم المبنى وترميمه، وهو ما لم يكن متاحاً في ذلك الحين، ولهذا تم تركيز العمل في الضلع الخارجي من الممر وكان من نتائجه الكشف عن حجرتي رماية في الجدار العمودي على السور جنوب غرب البرج (لوحة 11) وصار من الواضح أن الغرض من هذا الجدار هو إجبار من يدخل الباب على السير في اتجاه عمودي على السور ليصبح في مجال رماية البرج، وقد زودت كل من حجرتي الرماية المذكورتين بمزغل، ويفتح بالضلع الجنوبي الشرقي للحجرة الخارجية منهما ممر قصير ذو سقف منخفض ينتهي إلى حجرة صغيرة تتصدر ضلعها الجنوبي الشرقي فتحة مزغل، وبذلك يصل عدد المزاغل التي تفتح بهذا الجدار إلى ثلاثة؛ اثنان جانبيان على محور واحد والثالث أمامي، وهو نفس عدد المزاغل التي تزود بها الأبراج نصف الدائرية.

وتم الكشف أيضاً عن أرضية الضلع الخارجي من ممر المدخل، وتكسوها بلاطات حجرية غير منتظمة الشكل، كما تم عمل مَجَسّ في هذه الأرضية، ووصل المجس حتى أساس الجدران، وثبت من خلاله انتظام أحجار البناء، مما يدل على أن الباب مشيد في فترة واحدة، ولم يكن مشيداً على أنقاض باب سابق. والجدير بالذكر أن الأرضية الحجرية للمر تستمر خارج الباب لتشكل طريقاً ممهداً يمتد شرقاً حتى حافة التلال (شكل 4، لوحة 8)، والتي حال وجودها دون استمرار الكشف عن امتداد هذا الطريق.

ويمثل هذا الباب طرازاً فريداً لتخطيط المداخل المنكسرة المعاصرة له في أعمال صلاح الدين الأخرى في القاهرة سواء في سور العواصم أو قلعة الجبل، والتي كانت تتبع أحد طرازين؛ أولهما: البرج ذو المدخل المنكسر، وعادة ما يكون برج مربع يحتوي بداخله على الممر المنكسر مثل الباب الجديد بسور القاهرة الفاطمية، والباب المدرج بقلعة الجبل وباب القرافة بسور العواصم جنوب القلعة، والطراز الثاني: ويتكون من برجين يحصران بينهما فتحة الباب التي تؤدي إلى الممر المنكسر والذي يمتد خلف كتلة أحد البرجين حسب زاوية الانكسار، ومن أمثلته باب المطار وباب الإمام بقلعة الجبل. ويضيف هذا الباب -موضوع الدراسة- طرازاً ثالثاً قائماً بذاته.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما اسم هذا الباب وهل هناك أراء حول هذا الموضوع؟ والحقيقة أنه لا يمكن الإجابة على الشق الأول من السؤال بشكل قاطع؛ وكل ما يمكن عمله هو الاجتهاد الذي قد يصيب وقد يخطئ. أما عن الشق الثاني فيمكن القول أن هذا الباب لم يكن ظاهراً لذلك لم يدلي أحد من قبل برأيه في هذا الموضوع؛ والرأي الوحيد حول اسمه صدر قبل أن يُكتشف قسماً كبيراً من الباب، وأدلى به الأستاذ (وارنر Warner)، وانتهى فيه إلى أنه باب البرقية الثاني[12].

وأرجح أن هذا الباب هو باب القراطين الثاني الذي عُرف في العصر المملوكي بالباب المحروق، وذلك بناءً على ثلاثة عناصر، وهي: أقوال المؤرخين، وما سُجل بالخرائط العلمية وأقدمها خريطة الحملة الفرنسية (1800م)، فضلاً عن الأجزاء الباقية من السور الشرقي بشكل عام.

ويمكن القول بدايةً أن الربط بين هذه العناصر الثلاث يدل على أن سور القاهرة الفاطمية الشرقي بعد إضافات صلاح الدين كان يشتمل على ثلاثة أبواب لا تزال باقية فيما بين برج الظفر وبرج درب المحروق، هي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب: الباب الجديد (البرجين 40، 41) من أعمال صلاح الدين، والباب الذي شاعت تسميته بباب البرقية الثاني واسمه المسجل عليه (باب التوفيق) ويرجع لأعمال بدر الجمالي، وباب القراطين الثاني ويرجع لأعمال صلاح الدين.

وقد ذكر المقريزي الباب الجديد[13]، وعُرف بها الاسم لأنه لم يكن له نظير في أبواب سور القاهرة الفاطمية، فاعتبر باباً جديداً يضاف إلى سور المدينة في هذه الناحية[14]، ويقع هذا الباب جنوب برج الظفر، ويفصله عنه برج واحد فقط.

أما الباب الثاني (باب التوفيق) فلم يرد في ضوء المراجع العربية القديمة أو الخرائط القديمة ومنها خريطة الحملة الفرنسية أي ذِكر لباب بهذا الاسم، مما يدل على أن هذه التسمية لم تكن شائعة، وأن هذا الباب كان يطلق عليه اسم آخر غير الاسم المسجل عليه، مثلما شاعت تسمية باب النصر في حين أن الاسم المسجل عليه هو (باب العز)، كما شاعت تسمية باب الفتوح في حين أن الاسم الأصلي للباب هو (باب الإقبال)، وبالتالي يجب أن نفرق بين ما يمكن أن نسميه بالتسمية الرسمية غير الشائعة والتسمية الشعبية وهي الأكثر شيوعاً. ويلاحظ من خلال ما ذكره المقريزي وغيره من المؤرخين عن (باب البرقية)[15] سواء بشكل مباشر أو غير مباشر يتوافق مع موقع (باب التوفيق). وقد اشار الجبرتي المتوفى سنة 1241هـ (1825م) إلى أن باب البرقية كان يُعرف في عصره باب الغُريب[16]، وقد سُجل باب الغُريب الذي ذكره الجبرتي على خريطة الحملة الفرنسية (القسم السابع - رقم 8-3-K) شمال شرق جامع عبد الرحمن كتخدا والذي كان يعرف أيضاً بجامع الغُريب (شكل 2)، ولم يكن هذا الباب الذي ذكره الجبرتي وسجلته خريطة الحملة باب البرقية الأصلي كما هو واضح من موضعه (شكل 2) بل كان باب درب مثل باب درب اللبانة وغيرها من بوابات الدروب، ولعل الخلط نتج عن أن

---

[12] Warner, The Fatimid., p. 296.

[13] المقريزي، تقي الدين أبى العباس أحمد بن على، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزآن، بولاق، القاهرة، 1853، جـ1، ص 380، جـ2، ص 108-109.

[14] زكي، عبد الرحمن، أسوار القاهرة من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة، السنة الخامسة، العدد (51)، 1961م، ص 41.

[15] المقريزي، الخطط، جـ2، ص 67،78، 108-109، 314، 326؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبى المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد رمزي وآخرون، دار الكتب، القاهرة، 1929-1972، جـ9، ص 205-206.

[16] الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 4 أجزاء، طبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، 1986، جـ2،ص 7؛ جـ3، ص 219، 392.

المنطقة الواقعة ما بين القسم الأوسط من السور الشرقي وحتى قرب المشهد الحسيني والجامع الأزهر جميعها كانت تعرف بالبرقية. وخلاصة القول أن باب التوفيق الذي شيده بدر الجمالي سنة 480هـ (1087م) هو الذي ذاعت تسميته بباب البرقية نسبة إلى طائفة البرقية التي كانت تسكن الحارة المعروفة باسمها داخل الباب، وظل مستخدماً في عصر صلاح الدين.

والباب الثالث والأخير هو الباب المكتشف والذي يتوافق موقعه إلى حدٍ كبير مع ما ورد عنه في المراجع العربية القديمة، فقد عُرِف بباب القراطين لأنه كان يوجد بجواره سوق الغنم، وكان يجلس عنده القراطون الذي يبيعون القرط (البرسيم)[17]، وكان هناك خط يعرف بسوق الغنم يقع داخل الباب، ومن الآثار المعمارية الثابت وجودها بهذا الخط جامع أصلم السلاحدار الذي لا يزال باقياً قريباً من موضع هذا الباب[18]. وحدث في أيام المعز أيبك التركماني تنافس بينه وبين الأمير أقطاي الجمدار على المُلك، وكانت نتيجته قتل أقطاي في شهر شعبان سنة 652هـ (سبتمبر 1254م)، فثار مماليكه وتواعدوا على الخروج من مصر إلى الشام؛ فخرجوا في الليل من بيوتهم إلى جهة باب القراطين هذا، فوجدوه مغلقاً، فأشعلوا فيه النار حتى سقطت بوابته من الحريق، وخرجوا منه فعرف منذ ذلك الحين بالباب المحروق[19]. ولم يسجل الباب المحروق بخريطة الحملة الفرنسية، ولكن سجل بها (باب درب المحروق) (القسم السادس - رقم 46 - 3 - M) شمال شرق برج درب المحروق مباشرة (شكل 2)، وهو تقريباً نفس موضع الباب المكتشف.

وأخيراً فإن تخطيط هذا الباب ونظام توزيع الأبراج في الجزء الباقي من السور الشرقي يظهر تناسقاً معمارياً، إذ يلاحظ أن برج درب المحروق وهو برج زاوية ضخم يفصله عن الباب المكتشف برج واحد فقط، وكذلك الحال في برج الظفر وهو برج زاوية ضخم أيضاً، ويفصله عن الباب الجديد برج واحد فقط.

[17] القلقشندي، شهاب الدين أبى العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (14) جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، جـ3، ص 349.

[18] المقريزي، الخطط، جـ2، ص 428؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ10، ص 174-175.

[19] المقريزي، الخطط، جـ1، ص 383؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ7، ص 12.

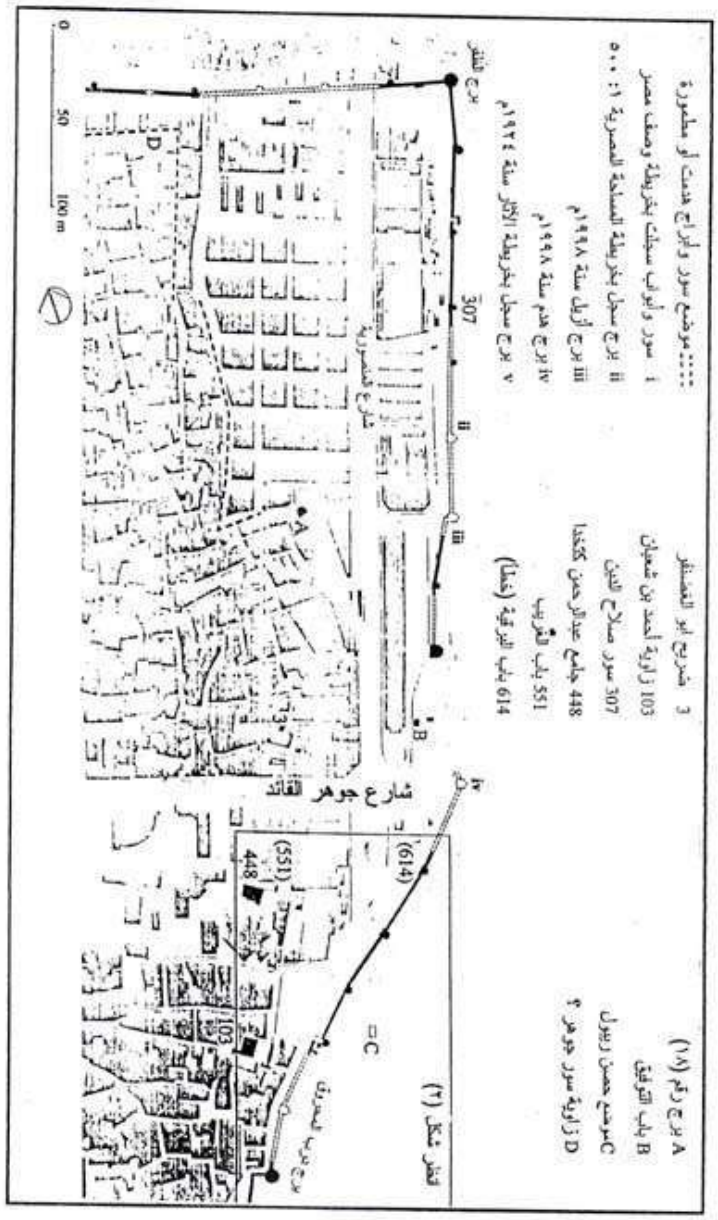

شكل (١) خريطة للسور الشمالي الشرقي للقاهرة الفاطمية. تعريب الباحث عن: Warner

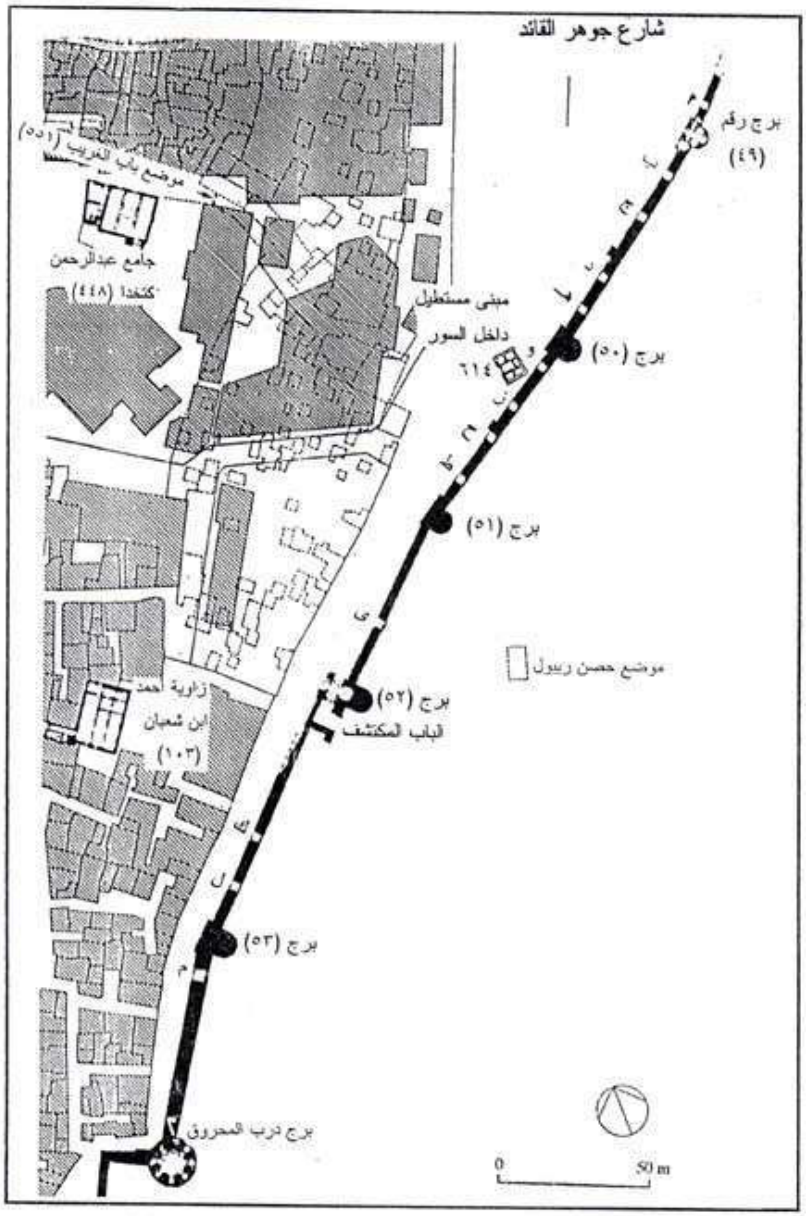

شكل (٢) خريطة تفصيلية لسور صلاح الدين المكتشف جنوب شارع جوهر القائد.
عن: Warner (التعريب وإضافة بيانات الأبراج والحجرات من قبل الباحث)

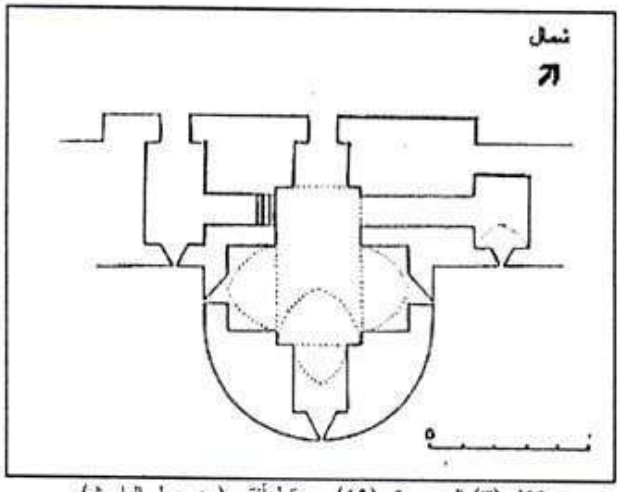

شكل (٣) البرج رقم (٤٩)، مسقط أفقي (من عمل الباحث)

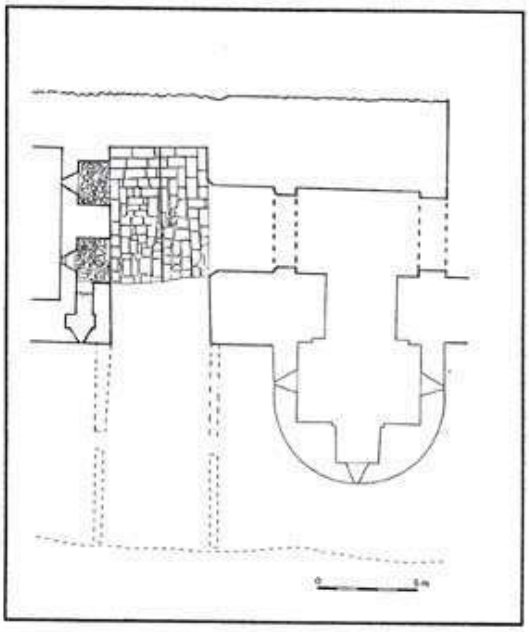

شكل (٤) الباب المكتشف، مسقط أفقي عن: Pradines

لوحة (١) منظر عام للسور المكتشف جنوب شارع جوهر القائد

لوحة (٢) الواجهة الخارجية للسور بين البرجين (٥١) و (٥٢)

لوحة (٣) الواجهة الداخلية للسور وتظهر به حجرات الرماية والسلم الحجري

لوحة (٤) الواجهة الخارجية للبرج (٤٩)

لوحة (٥)الواجهة الداخلية للبرج (٤٩)

لوحة (٦) الواجهة الخارجية للبرج (٥٣)

لوحة (٧) الواجهة الخارجية للبرج (٥٠)

لوحة (٨) الواجهة الخارجية للباب المكتشف (برج ٥٢)

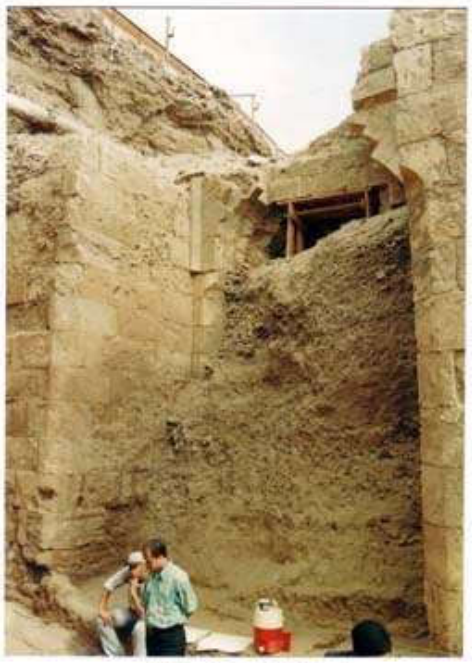

لوحة (٩) بقايا الباب الخارجي

لوحة (١٠) سطح الباب والبرج (٥٢)

لوحة (١١) الباب المكتشف، حجرات الرماية إلى يسار الداخل في الممر العمودي على السور